

الدعوة للطاعة

أدوات الشيطان وحيله

"وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَا تَأْكُلِي مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلِي مِنْهُ وَلَا تَمَسَّهُ لِئَلَّا تَمُوتِي. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتِي. بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلِينَ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمْ وَتَكُونِينَ كَاللَّهِ عَارِفِينَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؟. فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ" (تكوين ٣: ١-٦). "لِئَلَّا يَطْمَعَ فِيْنَا الشَّيْطَانُ، لِأَنَّآ لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (كورنثوس الثانية ٢: ١١). الله لا يريد منا أن نجعل أدوات الشيطان وحيله، ولكن أعتقد أننا في مرات كثيرة نجعل ذلك حقًا، وهنا نقع في المتاعب. الشيطان مخادع جدًا. وقد قال بولس لنا: "الْبَسُوا سِلَاحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَنْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ (حِيلِ) إِبْلِيسَ" (أفسس ٦: ١١). كانت حواء جاهلة بحيل الشيطان. وسندرس هنا اليوم بعض هذه الأدوات والحيل، لكي يساعدنا ذلك على أن نحترس من بعض تلك الحيل التي قد يحاول أن يلاعبنا بها.

الشيطان يثير الاستياء وعدم الرضا. وهو بارع في الخداع مثلما قرأنا في الأصحاح الثالث من سفر التكوين، حيث حاول أن يثير استياء حواء من نصيبها في الحياة. وحينما نجح في ذلك، أصبح من السهل عليه تحويلها ضد الله. إنني أتعجب من أن تصبح حواء غير راضية في عالم مثالي. لم يكن في جسدها ألم على الإطلاق. وكان الطقس مثاليًا على الدوام. وكان يمكنها أن تأكل من كل ما في الجنة باستثناء شيء واحد فقط مُنعت منه. إلا إنها صارت مستاءة غير راضية. لذلك، بما إن هذه المرأة التي كان لديها كل شيء أصبحت غير راضية، فكم بالحري يسهل عليك الاستياء وعدم الرضا؟.

لذلك يحذرنا الرب يسوع قائلاً: "سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نِيرًا، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شَرِيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلَمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلَامًا فَالظَّلَامُ كَمَا يَكُونُ!" (متى ٦: ٢٢، ٢٣).

حسنًا، هذا يعني أنه طالما تركيزك الكامل على يسوع، مداومًا على التسبيح وحمد الرب على ما لديك، فليس هناك مجال لأن يجلب الشيطان في قلبك الاستياء وعدم الرضا. حقًا، إن عدم الرضا يجلب الظلام دائمًا.

إن بقاءك إيجابيًا في عالم سلبي هو سعي يومي. لذلك يقول الكتاب المقدس: "افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٦-١٨).

لاحظ إنه لا يقول أن نشكر كل شيء ولكن في كل شيء. الرب يسوع المسيح هو معينك ويستحق أن تشكره في كل وقت بصرف النظر عن سهولة الأمور أو صعوبتها، وسواء استحسنتها أم لم تستحسنها. هذا يبقينا في نور ربنا وفرحه وسلامه.

ولا يفشل ذلك الأمر أبدًا، فبمجرد أن يجعلك الشيطان ساخطًا على أمر واحد يمكنه بسهولة أن يجعلك ساخطًا على أمر آخر وآخر وآخر. ومع عدم الرضا يأتي الشك والنقد والشكوى ورتاء الذات والغضب، وما إلى ذلك. حقًا، يصبح كل جسدك ظلامًا. فمثلًا، قد يكون أحد الناس راضيًا تمامًا عن زوجته، ولكن بمجرد أن يجعله الشيطان يركز على نقطة ضعف أو خطأ فيها، فإنه سرعان ما يبدأ في الشعور بالاستياء من أشياء أخرى فيها، وينجذب لامرأة أخرى، فيطلق زوجته. كل طلاق يبدأ بحالة سخط وعدم رضا.

يريد بولس منا ألا نجعل أدوات الشيطان وحيله. كان عندي أم رائعة، فقدت زوجها في المجاعة. كما فقدت طفلتها في المجاعة. ثم انتهى الحال بأسرتنا لمدة عامين في معسكر اعتقال به ٣٦,٠٠٠ شخص. وخلف الاسلاك الشائكة، تقاسمت عائلتنا غرفة واحدة مع الآخرين، مما جعل سبعة عشر شخصًا منا يبيتون معًا في غرفة واحدة طوال السنتين. كانوا يعطوننا خبزًا متعفنًا أخضر كل يوم وكنا نرتدي الملابس نفسها ليلاً ونهارًا. وبالطبع لم يكن لدينا مياه ساخنة أو وسائل وما إلى ذلك. ولكن أمي الأرملة علمتنا بالقدوة، نحن أطفالها الأربعة، أن لا نركز على ما ليس لدينا ولكن على ما لدينا. ما لدينا هو قدمان نمشي بهما، ويدان نمسك بهما الأشياء، وعينان نرى

بها، وأذنان نسمع بهما، وذهن يعمل. كل هذه الأشياء محمولة وكلها أمور ينبغي أن نشكر الله عليها. وقد هربنا من الروس. وسرعان ما علمنا أن هناك ١٨ مليون شخص كانوا يودون أن يأخذوا الخبز الأخضر لأنهم ماتوا جوعاً. ألم يكن لدينا أي شيء جيد. لم يكن هناك تجمعات اكتئاب أو شفقة. هذا التدريب على التركيز على ما لدينا وليس على ما هو ليس لدينا، جدير بأن نمضي به خلال محرقة الهولوكوست. كان أفضل من ألف درس في مدارس الأحد كطفل أو شاب.

كانت حواء سعيدة، لكن الشيطان تمكن من أن يجعلها حزينة. لا تدع هذا يحدث لك.

حيلة أخرى للشيطان هي إنه اصطاد حواء عندما كانت وحدها. إن أسهل الأوقات للوصول للشيطان إليك هو عندما تكون منفرداً وحدك. أرسل الرب يسوع تلاميذه اثنين اثنين حسب ما ورد في سفر الأعمال. وذهبوا اثنين اثنين. يقول الرسول: "غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعًا" (عبرانيين ١٠: ٢٥). هناك شيء في تواجدك مع شخص آخر، حيث يعضدك ذلك ويقويك. لذلك قال سليمان: "اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ، لِأَنَّ لَهُمَا أُجْرَةً لِيَتَعَبَهُمَا صَالِحَةٌ. لِأَنَّهُ إِنْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا يُقِيمُهُ رَفِيقُهُ. وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ وَحْدَهُ إِنْ وَقَعَ، إِذْ لَيْسَ ثَانٍ لِيُقِيمَهُ" (جامعة ١٠، ٩: ٤).

إذا تمكن الشيطان من أن ينفرد بك، فسيجعلك تتأمل ما ينقصك، وسيمكنه بسهولة أن يدخل معك في حوار، ويخدعك.

حدث هذا أيضاً لإيليا الذي كان رجلاً عظيماً أمام الله. كان رجلاً عظيماً ولم يمت ميتة طبيعية، لكن الله رفعه في مركبة نارية. ومع ذلك هناك يوم أصابه فيه الإحباط والاستياء. وقد وضع الله ذلك الأمر في الكتاب المقدس لنا جميعاً لكي نتعلم منه. ومفتاح الأمر هنا هو إن إيليا بعد انتصاره العظيم عندما أهلك كل الأنبياء الكذبة، وصلاته من أجل نزول المطر على الأرض (ملوك الأول ١٨)، ترك إيليا خادمه خلفاً، ليجد نفسه وحيداً مع الشيطان. هنا بدأت الأمور تتدهور. لو كان قد أبقى خادمه معه، لما دخل في رثاء الذات تحت شجرة العرعر (الرتمة)، ولتجنب معاقبة الرب له. إنه أمر مكلف باهظ الثمن لنا أن نوجد في مكان حيث لا يمكننا أن نسمع صوت قديس حبيب آخر يقول لنا: "انتظر دقيقة الآن".

ومثلما دخل الشيطان في حوار مع حواء وإيليا عندما وجد كلاً منهما وحيداً منفرداً، هكذا يود أن يدخل في حوار مع كل واحد منا. وبهذه الوسائل يبدأ في إعادة تفسير ما قاله الله. فهو مثلاً، لم يبعد كلمة الله عن حواء، لكنه حرفها وحوورها. هذه حيلة أخرى من حيله. فقال لها إن الله لا يعني ما قاله. وقال لها إنها إذا أكلت من الشجرة، فستكون سعيدة وإنها لن تموت. تذكر أن الشيطان عندما تقدم إلى يسوع، قال له ثلاث مرات أموراً جميلة اقتبسها من كلمة الله وحوورها. الشيطان يحب الكتاب المقدس ويعرف كيف يستخدمه لخداعك. إن كل محرفي كلمة الله دخلوا في حوار مع الشيطان. واليوم، في العديد من كليات دراسة الكتاب المقدس، يلوي الشيطان عقول الأساتذة. فيقولون للشباب الذين يأتون بإيمان نقي، إن الكتاب المقدس لا يعني حقاً ما يعتقدون أنه يعنيه. يمكن للشيطان أن يعطيك تفسيرات كافية لآيات الكتاب المقدس بما يسمح لك أن ترتكب أي خطيئة تريد، دون الذهاب إلى الجحيم. فمن السهل أن تلوي الأسفار المقدسة، وبالتالي، يصبح من السهل جداً إنكار العقاب. لذلك، الشيطان جعل حواء تعتقد أنها لن تُعاقب، بل بالحري، تنال بركة بمجرد أن تأكل مما حرمه الله عليها. ثم، عوض أن تسأل آدم عما يعتقد، أقنعتة فقط أن يسايرها. وعادة إنك إذا انحدرت إلى أسفل، فستأخذ شخصاً آخر معك.

لاحظ أيضاً أن الشيطان لن يأتي إليك كشيطان شرير يلقيك في الجحيم، لكنه يأتي كصديق لك. وإذا كنت ساخطاً وغير راض عن أي شيء وأصغيت إليه، فأنت في منطقة في منتهى الخطورة. مرة أخرى، حينما تفتح قلبك أمام أمر سلبي واحد، فسيصبح قلبك مفتوحاً أمام جميع السلبيات. إذا أغراك الشيطان أن تصبح غير راض عن أي شيء في حياتك، فابتعد عنه من فضلك. اذهب لأحد الأشخاص القديسين للصلاة معاً. تطلع إلى الله وقاوم الشيطان، لأن الشيطان كذاب وسيخدعك إذا أمكنه ذلك.

هذه الرسالة مقتبسة من عظة ألقاها القس روبرت مورغان.